الباب الثالث

أخلاق الدعاة والأمور التي ينبغي توافرها لنجاح الدعوة

أولًا: البصيرة في الدين.

ثانيًا: موافقة القول للعمل.

ثالثًا: الإخلاص لله في القول والعمل.

رابعًا: الصدق.

خامسًا: تحري الحكمة في الدعوة.

سادسًا: تحري منهاج أهل السنة والجماعة في جملة هديه.

سابعًا: الصبر على المكاره والأذى.

ثامنًا: الإكثار من ذكر الله عز وجل.

تاسعًا: المحافظة على الصلوات وغيرها من فرائض الطاعات والإكثار من التطوعات.

عاشرًا: الكرم والجود.

حادي عشر: التحلي بالخلق الحسن.

ثاني عشر: العناية بدعوة الأقربين.

ثالث عشر: في بيان أثر المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله.

رابع عشر: العناية بدعوة الشباب واستثمار نشاطهم في الدعوة.

خامس عشر: العناية بضعفاء الناس ومساكينهم.

سادس عشر: النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم في سائر الأحوال.

سابع عشر: الرد على المخطئين والمقالات والأحكام والمنحرفين في الاعتقادات والأعمال. وبيان

ثامن عشر: رد الضلالات وكشف الشبهات.

تاسع عشر: الرحمة بالخلق.

عشرون: اغتنام المناسبة في البيان.

حادي وعشرون: الانتفاع بالوسائل الممكنة المشروعة والمباحة في الدعوة إلى الله.

ثاني وعشرون: البعد والحذر عن سؤال الناس أموالهم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تمهيد

إن من الواجب على المسلم عامة، والداعية إلى الله تعالى خاصة أن يتحرى على الدوام محاسن الأخلاق وفضائل الأعمال، وأن يحذر سيئها ورذائلها ظاهرًا وباطنًا، فإن ذلك من أعظم أسباب ثبات إيمانه وزيادته، وعصمته من الفتن والشر وأهله، كما أنه من أمارات توفيق الله تعالى له، وأن يهبه الله الحكمة في دعوته وأمره ونهيه وأموره كلها، وهو أيضًا أدعى لقبول الناس منه واستجابتهم له وحسن تأسيهم به، فيكون السلوك الحسن عونًا للداعي إلى الله على إظهار الحق وهداية الخلق والسداد في جميع أموره، ويكون شهادةً من عموم الخلق له بالخير، وتلك من عاجل بشرى المؤمن، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قوله: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض ـ ثلاثًا ـ**»(١)، فالثناء الحسن من أهل الإيمان من عاجل بشرى المؤمن، كما قال تعالى:] 1 2 3 4 5 6 7 Z [يونس:٦٤].

والجامع لما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله تعالى من الصفات والسجايا والهدي والسمت؛ حسن تأسي الداعية بالنبي ﷺ واقتدائه بهداه، فقد كان ﷺ أحسن الناس خلقًا وأجملهم سمتًا وأكملهم هديًا، وكفى بثناء الله تعالى عليه بقوله:] k l m n Z [القلم:٤]، شهادة من الله تعالى له بذلك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٤٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد سُئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[١]، تعني: امتثال القرآن العظيم في فعل ما أمر الله به، وأثنى على أهله، واجتناب والبعد عَّما نهى اللهُ عنه، وذمَّ أهلَه، وهكذا كان ﷺ يهتدي بالقرآن ويبينه للأمة بكل وجه من وجوه البيان، ومن ذلك الاهتداء والامتثال والتقيد بالقرآن فعلًا وتركًا.

فينبغي أن يكون الدعاة إلى الله تبارك وتعالى متأسين بالنبي ﷺ، ومقتدين به في جميع صفاتهم الخُلُقية، ومظاهرهم السلوكية؛ فإنه ﷺ هو قدوة الدعاة إلى الله وإمامهم إلى آخر الدهر، والمبلِّغ عن الله دينه إلى سائر البشر.

وحسن الاقتداء به ﷺ من كمال الاتباع له وعلامات محبته ﷺ، ومما يسمو بالداعية إلى الله تعالى إلى درجات عالية من الإيمان والتقوى والخلق العظيم ورفيع المنزلة في الجنة، ويحقق في المقتدي أنموذج الشخصية الإسلامية اعتقادًا وقولًا وعملًا وخلقًا وفكرًا وسلوكًا، وحظه من ذلك بحسب حظه من العلم بهديه ﷺ، والعمل بذلك، وإخلاصه لله تعالى فيه.

فإن أصل أصول الهدى:

أ- العلم بما جاء به المصطفى ﷺ من وحي الله تبارك وتعالى، وبيان النبي ﷺ لما أوحى الله تعالى إليه بأنواع البيان القولي والفعلي والحالي، والعمل الخالص به ابتغاء وجه الله جل وعلا فإنه ﷺ الرسول المبلغ الأمين، والإمام المكمل من رب العالمين.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٤٧٧٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ب- معرفته هدي السلف الصالح الذين هم خير هذه الأمة وأعلمهم بهدي النبي ﷺ، وهم:

أولًا: صحابة النبي ﷺ الكرام رضي الله عنهم.

ثانيًا: التابعون لهم بإحسان وتابعوهم وأئمة الهدى من بعدهم.

فإن هدي السلف الصالح هو الترجمان العملي لهدي القرآن وسنة النبي ﷺ، فلا بد من معرفة هدي القران وكيفية عمل النبي ﷺ به، ولا يكون ذلك إلا عن طريق السلف الصالح، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : Z [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W Y Z [\ ] ^ _ ` b c d Z [النساء:٦٦- ٧٠].

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بيان الصفات التي ينبغي توافرها في الداعية

وإذا كانت السعادة الحقيقية والفلاح التام في الدارين في معرفة هديه ﷺ ودينه واتباعه في ذلك؛ فيجب على كل من أراد نجاة نفسه وغيره وتحصيل الفلاح لهما في الدارين أن يعرف من هدي النبي ﷺ ودينه وأخلاقه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين، وينفع به نفسه والآخرين، والناس في هذا مُستَقِلٌ ومُستكثِرٌ ومَحرُوم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

والداعية إلى الله تعالى أولى الناس بأن يكون على معرفة بهدي النبي ﷺ وما يؤثر عنه؛ حتى يكون على منهاجه في الدعوة، وحتى يكون ناجحًا في دعوته، فائزًا بالعاقبة الحميدة في دنياه وآخرته، **ولن ينال ذلك حتى يكون سالكًا للطريقة المحمدية، متخلقًا بأخلاق النبي ﷺ الكريمة الزكية، وذلك بأمور، أهمها وأجلها:**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أولاً:

البصيرة في الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة جليلة، وقربة عظيمة، ذات أثر بالغ على الداعي والمدعوين، وعلى دين رب العالمين، فينبغي أن تكون على بصيرة.

والبصيرة لغة: هي العلم والمعرفة والتحقق والحجة، يقال: بصر بالشيء علم به، وبصر الأمر عرفه، وبصرته بالشيء أوضحته له. فهي العلم الذي ينير القلب فإن العلم للقلب كالضياء للبصر.

والبصيرة شرعًا: العلم الشرعي المبني على الدليل من الوحي المنزل من عند الله تعالى، والفهم لمراد الله تعالى فيما أنزل، ومراد النبي ﷺ فيما بيَّن، وهدى السلف الصالح الأول.

ولهذا قال تعالى:] P Q R S T U W X Y Z [Z [يوسف:١٠٨]، **أي:** على علم ويقين وبرهان شرعي وعقلي فيما أدعو إلى فعله وما أدعو إلى تركه، وفي أسلوب الدعوة وحال المدعوين، فسمّى الله العلم بصيرة لأنه يحصل به الصواب ويتبين به الحق لأولي الألباب، وتنكشف به الشبهة، ويُدمغ به الباطل، وتُرد به الضلالة؛ فتتضح به المحجة وتقوم به الحجة.

ولهذا كان أول ما نبئ به النبي ﷺ قوله تعالى:] K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z [العلق:١- ٥]، فكانت هذه الآيات الكريمات المباركات أول رحمة رحم الله بها عباده، وأول نعمة أنعم بها عليهم، وفيها التنبيه على أن من كرمه تعالى أن علَّم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإنسان ما لم يعلم، فشرَّفه وكرَّمه بالعلم ثم العمل، ثم نبَّه سبحانه على وسيلة تحصيل العلم والعمل، وهي حسن الإنصات والفهم الصحيح حال التلقي والعرض على من يتلقى عنه، ولعل في الآيات الكريمات لفتة لطيفة إلى توثيق العلم بالكتابة، وقد كتب القرآن وشيء من البيان في حياة النبي ﷺ، ودعا النبي ﷺ ملوك زمانه بالكتابة إليهم، فبعث ﷺ رسله بكتبه إليهم يدعوهم للإسلام ويبين لهم أصله وقاعدته وغايته.

وبيَّن سبحانه لنبيه ﷺ كيف يتلقى الوحي من الملَك، فنهاه عن مبادرة أخذه ومسابقة المَلَكْ في قراءته، وأمره إذا جاءه المَلَكْ أن يستمع إليه حين تلاوته، ثم بعد ذلك يعرض ما سمع عليه، وتكفل الله له بجمعه له في صدره ـ أي: حفظه ـ وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه فقال:] لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ Z [القيامة:١٦-١٩]، فجمع الله سبحانه لنبيه ﷺ بين التوجيه حين التلقي إلى حسن الأدب والإلحاح بسؤال المزيد من العلم من الرب.

والمقصود: أن العلم هو أول ما بدأ الله تبارك وتعالى به نبيه محمدًا ﷺ قبل القول والعمل والدعوة، وحثَّه على حسن الاستماع وأخذ العلم، وأن يطلب المزيد منه، وأن يعتني بأهم المهمات وأوجب الواجبات وهو التوحيد، وأن يعمل به ويحسن به، وبالاستغفار للعباد فقال:] فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ç è é ê Z [محمد:١٩]، فقدَّم العلم على القول والعمل والدعوة؛ لأن تقدم العلم على العمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريده ويقصد العمل للوصول إليه، فيختار الأهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والأفضل، ويحسن القول والعمل ودعوة الخلق إلى الله عز وجل، قال تعالى:

[! " # $ % & ' ( ) * + ,
- . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8
9 : ; (= > ? @ A B C D E F
G H I J K L M N O P Q R S T U V
W X Z [فصلت:٣٠- ٣٣].

حقيقة العلم والنافع منه وشدة الحاجة إليه:

العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه دنيا وأخرى ما جاء به النبي ﷺ من الهدى المثمر للخشية والتقوى، ومن دعاء النبي ﷺ المأثور: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا، الحمد لله على كل حال**»(١)، وقد استجاب الله تعالى دعاءه، فلم يزل ﷺ في زيادة من العلم والعمل إلى أن توفاه الله عز وجل على أكمل حال من العلم والقول والعمل.

كما ثبت في الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن الله تعالى تابع الوحي على رسوله ﷺ حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي ﷺ(٢)، فتحقق فيه قوله سبحانه:] وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا Z [النساء:١١٣].

فواجب على كل من أراد الدعوة إلى الله سبحانه طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ـ فيما يدعو إليه ـ، ومعرفة ما أراد الله

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٩٩)؛ وابن ماجه برقم: (٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٩٨٢)؛ ومسلم برقم: (٣٠١٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بذلك، وفهمه على نحو ما فهمه الصحابة والتابعون وأتباعهم من أئمة الهدى في الأمة، فإن كل ما تحتاج إليه الأمة قد بينه ﷺ بيانًا شافيًا، قامت به الحجة، واتضحت به المحجة، وزالت به المعذرة، ووجب به العمل، عَلِمه من عَلِمه وجَهله من جَهله، والناس مُستَقِلٌ ومُستكثِرٌ ومُعرِض غافل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأعظم الفضل هو العلم المورث للخشية وحسن القول والعمل الزاجر عن تعدي حدود الله عز وجل.

فعلى الداعي إلى الله تعالى أن يستزيد من هذا العلم، وأن يكون على فهم صحيح له، فإنه العلم النافع في الدنيا والآخرة، وقد ثبت في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(١).

وقد جمع الله تعالى لنبيه ﷺ أفضل علوم الأنبياء والمرسلين قبله وأصحها وأكملها، وزاده عليها مما فيه هداية الخلق للحق، وصلاحهم ونفعهم في الدنيا والآخرة، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وبيَّن ﷺ للأمة ما أُنزل إليه من ربه بقوله وفعله وتقريره لما وافق، وإنكاره على ما خالفه بيانًا كاملًا شافيًا، ترك به ﷺ أمته على بيضاء نقية ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولذا قال الصحابة رضوان الله عليهم: «لقد تركنا محمدٌ ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علمًا»(٢). وقالت اليهود للصحابة: «قد

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢١٢٠٨)؛ وأبو داود برقم: (٣٦٤١)؛ والترمذي برقم: (٢٦٨٢)؛ وابن ماجه برقم: (٢٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٢٠٨٥٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة»[(١)]، يعنون آداب قضاء الحاجة، فقال الصحابة رضوان الله عليهم: أجل ـ أي ذلك كذلك ـ.

وضرورة العباد إلى معرفة ما جاء به ﷺ من الهدى ودين الحق فوق كل ضرورة، وحاجتهم إليه فوق كل حاجة، فإنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث من الاعتقادات والأقوال والأعمال والأحوال على التفصيل إلا من جهته، ولا سبيل إلى الفوز بالسعادة في المعاش والمعاد إلا من طريقه، فأي حاجة فرضت، وأي ضرورة عرضت فحاجة العباد وضرورتهم إلى معرفة ما جاء به النبي ﷺ من الهدي ودين الحق فوقها بكثير.

روي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأنهم يحتاجون إلى الطعام والشراب في الـيوم مرة أو مرتين وحاجتهم إلى العلم بعدد أنفاسهم.

أثر العلم في نجاح الدعوة ومضرة دعوة الجاهل:

والحاصل أن الداعي إلى الله تعالى يجب أن يستزيد من العلم الشرعي النافع على الدوام ليعرف موضوع دعوته، ويكون على بصيرة من أمره، وعلى علم بما يجوز وما لا يجوز، وما يسوغ فيه الاجتهاد وما لا يسوغ، وشرعية ما يقوله وما يفعله وما يتركه؛ حتى يتمكن من أداء حق الله عليه على أكمل وجه مستطاع، وتوجيه الناس إلى الخير، وترغيبهم في الفضيلة، وتنبيههم إلى ترك أسباب الشر وزجرهم عن الباطل، ولذا قال تعالى:] T S R Q P [Z Y X W U [Z [يوسف:١٠٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ومتى فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلًا بما يريده ويدعو إليه، وكان عرضة للقول على الله ورسوله ﷺ وفي دينه بلا علم، فينسب إلى دين الله ما ليس فيه أو ينفي عنه ما هو منه، وبهذا يكون ضرره أعظم من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، ويعود تعبه وجده فيما يضره ويضر غيره في الدنيا والآخرة، فيخشى أن يكون داخلًا في قوله سبحانه:] g f e d c Z s r q p o n m l k j i h [الكهف:١٠٣- ١٠٤]، وإنما أُتي أولئك الخاسرون من قبل أنفسهم، إما من فساد العمل أو من فساد القصد، وهما من نتاج الجهل أو نقص العلم أو اتباع الهوى.

وهذا يبين ضرورة العلم الشرعي لكل عامل يبتغي وجه الله والدار الآخرة من داعية أو غيره من الرجال والنساء، حتى يتعلم صحة القصد والإرادة، وصحة العلم في أي عبادة، فإن الله تعالى لا يقبل من العلم إلا ما كان خالصًا لوجهه وصوابًا على السنة، والداعية إلى الله بحاجة إلى العلم بما يدعو إليه وشرعية ما يقوله أو يفعله أو يتركه، حتى ينفع نفسه وينفع غيره بما يرشده إليه من أحكام الدين ويوصلهم إلى رب العالمين، ولشدة الحاجة إلى العلم وعظم الضرورة إليه؛ صار طلب ما لا يسع المكلف جهله واجبًا على الأعيان، وصار فضل طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وصار حملته العاملون به أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وهم ورثتهم الحقيقيون.

النصوص في الحث على طلب العلم:

وكم في نصوص الكتاب والسنة، وما أُثر عن السلف الصالح من هذه الأمة ما يبين فضل العلم، ويغري كل عاقل بطلبه، والجد في تحصيله، والتقرب إلى الله تعالى بالتعب والسهر في سبيله، **فمن ذلك:**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أ- قوله تعالى:] 3 4 5 6 7 Z [فاطر:٣٢]، وفي ذلك التنبيه على أن من يسر الله له العلم بكتابه وهدي نبيه ﷺ فقد اصطفاه بحسب ما أعطاه، وما اعتقده، وقال وعمل به ابتغاء وجه الله وهدي عبده ورسوله ومصطفاه، فقد وعد الله تعالى هذه الأصناف الثلاثة الجنة، لكن منهم من يدخلها ابتداءً ومنهم من يدخلها انتهاءً.

ب- وقد صح عن النبيﷺ قوله: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، وفي ذلك إشارة إلى أن العناية بتحصيل العلم والعناية بالفقه أمارة على أن الله قد أراد به خيرًا لما علم في قلبه من الخير.

ج- وصح أيضًا عنه ﷺ قوله: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة**»(٢)، وذلك لأن العلم الذي يستقر في القلب يورث خشية الله والعمل به ابتغاء وجهه، وترك الالتفات في القول والعمل إلى من سواه، والإحسان إلى الخلق بإنقاذهم من ظلمة الكفر والشرك والبدع والمعاصي والشبهات والشهوات إلى نور الإيمان والتقوى والهدى والزهد، ليكونوا من عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين حتى ينجوا من النار ويفوزوا بالجنة، وهذا أعظم إحسان يمكن أن يفعله مخلوق لمخلوق.

د- وكلام السلف الصالح رحمهم الله في فضل العلم وحملته كثير، ولنقتصر على إيراد جمل من كلامهم تبين عظيم مسؤولية من

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧١)؛ ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ينتسب إلى العلم، وأن الواجب عليه أن يتحرى الحق في قوله وفعله وسيرته حتى لا يأخذ الناسُ عنه إلا الحقَّ؛ فإنه ناصح مؤتمن، فليعرف منزلته وأثره في الناس.

- **قال ابن المنكدر رحمه الله**: العالم حجة بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل عليهم.
- **وقال أبو الأسود رحمه الله**: ليس شيء أعز من العلم، فالملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.
- **وقال ابن القيم رحمه الله**: وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ـ تعالى ـ ناصره وهاديه، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غدًا وموقوف بين يدي الله، وهذا كله يبين فضل العلم ومنزلة أهله بين الناس، ومسؤوليتهم العظيمة عما حملوه فتحملوه، وعن أثر قولهم وفعلهم وخلقهم في الناس وأنهم سيجدونه.

أهم ما يجب أن يعتني به الداعية إلى الله في تحصيله العلمي:

أ- معرفة العقيدة الإسلامية الصحيحة:

١ - **فالعقيدة لغة**: مصدر من اعتقد يعتقد اعتقادًا وعقيدة، مأخوذ من العقد، وهو: الربط والشدُّ بقوة وإحكام، ونحو ذلك مما فيه توثق وجزم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وفي الاصطلاح: هي ما ينعقد عليه قلب المرء ويجزم به؛ بحيث لا يتطرق إليه الشك فيه، فهي حكم الذهن الجازم أو ما ينعقد عليه الضمير ويتخذه المرء مذهبًا ودينًا يدين به، أي الإيمان الجازم الذي يترتب عليه القصد والقول والعمل بمقتضاه.

٢- والعقيدة الإسلامية التي دلت عليها أصول الإسلام الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم هي العقيدة الصحيحة.

وهي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من الأخبار والغيوب والأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وسائر ما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله بذلك كله، والعمل له تعالى بمقتضاه، والطاعة للنبي ﷺ والاتباع له.

فهي: تصديق بالغيب، وتوحيد وتنزيه للربِّ، وعبادةٌ لله بما شرع، واليقين بلقائه سبحانه وجزائه.

٣- **وتشمل العقيدة الإسلامية**: وجوب توحيد الله تعالى فيما يجب له، وتنزيهه عما لا يليق به، والقيام بأركان الإسلام وحقائق الإيمان والإحسان والتصديق بالنبوات، والكتب، وأحوال البرزخ والآخرة، وسائر أمور الغيب، وتحقيق الولاء والبراء، والقيام بالواجب نحو السلف الصالح وسائر أهل الإسلام، والموقف الشرعي من سائر أهل الملل والبدع ونحوهم من المخالفين.

ب- العناية بمعرفة الأحكام:

ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعنى بمعرفة الأحكام الشرعية العملية، وخصوصًا المسائل التي يحتاج الناس إلى توجيه بشأنها في عباداتهم ومعاملاتهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وغير ذلك من شؤونهم، وذلك بالرجوع إلى كتب أهل العلم المعتبرة في كل فن كالتفسير، والحديث، والفقه، وأصول هذه العلوم، فيصدر عن أمهات هذه الفنون التي دوَّنها أئمة هذا الشأن في كل فن، ويراجع الأكابر من أهل العلم المعاصرين ليستفيد من تجربتهم، ويستنير بتوجيههم حتى يعرف أحكام المسائل والقول الراجح فيما فيه اختلاف ووجه رجحانه، ويكون على علم بأدلة المخالفين من أهل المذاهب المعتبرة، كل ذلك بالدليل فإن الأدلة هي مفاتيح العلم ومعدن الأحكام وبينات الحق.

ولذا سمَّى الله الدليل عَلَمًا وسلطانًا وبُرهانًا وبَيِّنة لما يحصل به من وضوح الأمر وبيانه وقوة صاحبه على من ليس معه مثله، قال تعالى:] 8 7 6 9 : Z [الأنعام:١٤٣]، وقال تعالى:] إِنۡ عِندَكُم مِّن µ ´ ¸ عَلَىٰ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ Z [يونس:٦٨]، وقال جل ذكره:] * + , - . / 0 1 2 3 Z [النحل:٤٣-٤٤].

فإن طالب العلم إذا اعتنى بمعرفة أحكام المسائل بأدلتها، وراجع كلام أهل العلم فيها في مظانه، ورجع إلى أكابر أهل العلم الراسخين فيه فيما أشكل عليه، وأخلص النية في ذلك، كان حريًا بالتوفيق للصواب والسداد في الرأي، فإن الله تعالى قد وعد من جاهد فيه محسنًا بهدايته ومعيته كما قال سبحانه:] p q r s t v w x y Z [العنكبوت:٦٩]، وخصوصًا مع الضراعة إليه سبحانه في استفتاح صلاة الليل بطلب الهدى والسداد، كما كان النبي ﷺ يستفتح صلاة الليل بقوله: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك،**

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١). ومما علمه النبي ﷺ الأمة سؤال الله الهدى والسداد.

فليعتن الداعي إلى الله تعالى بمعرفة الحق بدليله عامة، وفيما يدعو إليه خاصّة، لتكون دعوته حقًّا وإلى الحق ولا يمنعه حظّ النفس ومهابة الخلق من الرجوع إلى الحق لو قال قولًا يظنه الصواب ـ بعد شدة تحرٍّ واجتهادٍ ثم تبيَّن له خطأ ما ذهب إليه ـ فإنه إذا تبيَّن له خطأه فرجع إلى الحق بعد ما تبيَّن وترك قوله الذي خالف فيه الحق كان مأجورًا على اجتهاده، ومعذورًا في خطأه؛ لأنه بذل وسعه في تحري الحق وأخطأ من غير قصد، ثم رجع إلى الحق لَمَّا تبيَّن له، وقد قال تعالى:] لَا يُكَلِّفُ © نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ¶ ¸ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا Z [البقرة:٢٨٦]، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال: «**قد فعلت**»(٢).

ولكن لا يحل لأحد كائنًا من كان أن يقول في دين الله قولًا بلا علم، ولا يحل له أن يقول في دين الله قولًا لا يعتقد صحته، بل لا يقول إلا بما علم واعتقد صحته بالبرهان والحجة، ويقول ذلك أيضًا على وجه إظهار الحق ونصيحة الخلق، فمن تبيَّن له الحق بدليله فليقل به ولينصح به الناس، ومن لم يتبين له الصواب فليمسك عن القول وليقل: (الله أعلم)، فإن الصواب في المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء فيها من غير حجة، بل ينسب العلم فيها إلى الله تعالى كما قال سبحانه:] © رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ Z [الكهف:١٩]، وقال جل ذكره:] W V U X Z [الكهف:٢٢]، يعني: أهل الكهف.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالسكوت عن القول في مثل هذه المسائل ونسبة العلم إلى الله تعالى هو العلم، والمتكلِّم فيها بلا علم قد أخطأ خطأً عظيمًا يُنكر عليه، فإن الله تعالى نهى عن افتراء الكذب عليه، ونهى عن القول عليه بلا علم، وعن المخاصمة والمجادلة بغير علم قام عليه الدليل، أو قول ما ليس للقائل به علم مطلقًا، فإن الله تعالى ذكر المحرمات وجعل القول عليه بلا علم أعلاها، لأنه أصل الشر ومنشأ غالب البدع و الأهواء الضالة المضلة.

والله تعالى قد ابتلى الناس بالمتشابه عليهم كما ابتلاهم بالمحكم ليعلم ـ واقعًا ـ من يقف حيث وقفه الله، ممن يقول عليه بلا علم ولا برهان، ولو بلغ الإنسان ما بلغ من العلم لكان ما علمه قليلًا بالنسبة لما لا يعلمه، قال تعالى:] وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا Z [الإسراء:٨٥].

وقد سئل أئمة كبار عن مسائل كثيرة فلم يجيبوا إلا على أقل القليل، كما ينسب إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى أنهُ سئل عن أربعين مسألة فأجاب عن أربع، وتوقف عن ستٍ وثلاثين، وقال للسائل: أخبر من وراءك أن مالكًا لا يدري.

وقد ذكروا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله توقف عن الإفتاء في عدد من المسائل، منها:

١. معنى قول النبي ﷺ: «**الشؤم في ثلاث**»[١] قال: لم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٥٨)؛ ومسلم برقم: (٢٢٢٥).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢. في فضل حفظ القرآن، هل المراد حفظه مع المعاني؟ قال: لا يحضرني جواب بفصل المسألة.

٣. في إغلاق الباب عند الجَذَاذ ووقت الحصاد. قال: لا أجسر ولا أتجرأ على القول بتحريمه.

٤. معنى قوله ﷺ: «**من عقد لحيته**»[١] قال: لا أعلم.

٥. قو ل الحسن: الجبت إنه رنة الشيطان. قال: لا أعلم مقصود الحسن.

٦. الفرق بين الرَوْح والرَحْمَة. قال: لا أعرفه.

*****

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٦٥٤٧)؛ وأبو داود برقم: (٣٦)؛ والنسائي برقم: (٥٠٦٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثانيًا:

موافقة القول للعمل

قال الله تعالى:] V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Z [فصلت:٣٣]، فهذه الآية الكريمة تبين أنه ينبغي للداعي إلى الله تعالى أن يكون ذا عمل صالح ليكون داعية إلى الله بأفعاله، كما دعا إليه بأقواله فيجتمع له القول والعمل، ولا أحسن قولًا من هذا الصنف من الناس المبارك على نفسه وعلى الناس من حوله، الذي يدعو إلى الله تعالى بالأقوال الطيبة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، والدفع بالتي هي أحسن والبعد عما يضاد ذلك وينقصه، وهكذا كان رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دعاة إلى الله بالأقوال والأعمال والسير الحسنة، فإنهم أئمة الناس في تحقيق ما يدعونهم إليه، وترك ما ينهونهم عنه.

ولذا ذكر الله تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ أنه قال لقومه:] R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Z [يونس:٧٢]، وعن شعيب عليه السلام أنه قال:] وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ Z [هود:٨٨]، وعن محمد ﷺ أنه قال:] µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ¶ Z [الأنعام:١٦٣].

وهكذا أتباعهم في الدعوة إلى الله على بصيرة في كل زمان ومكان يتبعون القول بالعمل الصالح، فلا بد للداعية من أن يعمل بعلمه، ويمتثل ما يدعو الناس إليه في سيرته وحياته، فلا يأتي من الأقوال والأعمال والأحوال الظاهرة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والباطنة ما يخالف ما علمه واستيقن صوابه ودعى إليه، فإن العمل هو الثمرة الصحيحة للعلم، وهو من أسباب ثباته وحفظه وعدم نسيانه، ومن موجبات زيادته وعموم ودوام الانتفاع به، وإغراء الناس بقبوله والاستجابة للداعي بالفعل، وعلمٌ لا يقود إلى عمل من حجةِ الله تعالى على ابن آدم، وصاحبه متشبه بإبليس واليهود وأضرابهم من شرار الخلق الذين علموا الحق وتعمدوا تركه استكبارًا وحسدًا وغمطًا لمن دعاهم إليه وسبقهم إليه، فباؤا بغضب الله ولعنته، وتوعدهم الله يوم القيامة بشديد العذاب وأليم العقاب بسبب تركهم العمل بعلمهم، وضرب الله لهم مثل السوء:] a b c d e f Z h g [الجمعة:٥].

ومن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة العالم الذي لا يعمل بعلمه، وقد ثبت في الصحيحين عن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: إي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(١).

ولهذا عاب الله تعالى على الضُّلاَّل من بني إسرائيل وذمَّهُم، فقال: [t u v w x y z { | } ~ Z [البقرة:٤٤]، فعد سبحانه ترك العمل بالحق مع العلم به من نقص العقل، وحذَّر هذه الأمة وتوعدها أشد الوعيد على تناقض الأعمال والأقوال، فقال:] k

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٧)؛ ومسلم برقم: (٢٩٨٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

{z y x w v u t s r q p o n m l | Z [الصف:٢-٣].

وأخبر سبحانه عن نبيه شعيب ـ عليه السلام ـ أنه قال لقومه:] وَمَآ أُرِيدُ أَنۡأُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ Z [هود: ٨٨]، فنَّبه على أن العمل بالعلم ـ كما أنه شكر الله تعالى على أن هدى الله تعالى العبد إلى الحق وبصره به ـ فهو حق الله تعالى عليه يتقرب به إليه، ويصلح به قومه بدعوتهم إليه؛ وذلك لأن النفوس مجبولة غالبًا على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا يوافق فعله قوله.

فمن أهم المهمات وأوجب الواجبات أن يكون الدعاة إلى الله تعالى ذوي سيرة حسنة، وخلق فاضل، وعمل صالح؛ ليكونوا قدوة للناس في فعل ما يدعونهم إليه، وترك ما ينهونهم عنه، فإن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا في نشر العقائد والأخلاق والأحكام والآداب، وترك المنهيات في نفوس الناس من الدعوة القولية فقط؛ ذلك لأن القدوة العملية تجسيد وتطبيق عملي من الداعية لما يدعو إليه، تسهل مشاهدتها والتأثر بها والاقتداء بها بخلاف الأقوال والكتابات، فقد لا يستوعبها بعض السامعين والقارئين، وقد لا يدركون مقاصد المتكلم، وما يرمي إليه مع ما يعرض لها من النسيان السريع والخطأ في التطبيق.

ولذا جعل الله نبيه ﷺ إمامًا تقتدي به الأمة في تحقيق عبادته، والبعد عن مخالفته، فقال:] لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا Z [الأحزاب:٢١]، وقال تعالى:] < ? @ A B C D E F G H I J K L Z [آل عمران:٣١]، وقال سبحانه:

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

~ } | z y w v u t s r q p [
ٱلۡعِقَابِ Z [الحشر:٧]، وقال سبحانه:] c b a ` _ ^]
Z h g f e d [النور:٦٣].

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه والحاضرين معه على أن يقتدوا به ويتلقوا عنه في كل مناسبة، فكان يعلمهم الوضوء بفعله، ويقول: «**من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»(١)، وكان ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام في الحج: «**خذوا عني مناسككم**»(٣)، وقال ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»(٤).

ولقد كثرت النصوص التي تضمنت التوجيه إلى حسن الاقتداء بالنبي ﷺ، والتأكيد على ملازمته، والحض عليه والثناء على من سبق إليه، فكان لذلك أثره الكبير في فهم الدين، وأداء العبادات، وتنفيذ الأحكام على الوجه المأثور عن سيد المرسلين، وتحقق الاقتداء بالنبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة؛ في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق وما سوى ذلك، ومن فضائل الصدر الأول من هذه الأمة أنهم حضروا التنزيل، وشاهدوا الرسول ﷺ وهو يعمل بما يدعوهم إليه، وعملوا وهو ﷺ يراهم، فما وافق ما جاء به أقرهم عليه، وما خالفه أنكره ونهاهم عنه، وبيَّن لهم وجه الصواب فيه، فعملوه على وفق الشرع

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٦٠)؛ ومسلم برقم: (٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣١).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/١٢٥)، وأخرجه مسلم برقم: (١٢٩٧)، بلفظ: «**لتأخذوا مناسككم**».

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣)؛ ومسلم برقم: (١٤٠١).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قطعًا، فعلموا ما لم يعلم غيرهم، وفهموا ما لم يفهم سواهم، وفازوا بالاقتداء بخير قدوة، ونقلوا ذلك وبلغوه إلى الأمة قولًا وعملًا. فحازوا قصب السبق في كل باب من أبواب العلم و الخير، وخصلة من خصال البر.

والمقصود: أن الداعية إلى الله تعالى لا بد أن يحقق دعوته بالمتابعة الصادقة لرسول الله ﷺ بما جاء به وثبت عنه من أقواله وأفعاله وإقراره وأحواله، فإن الميزان الشرعي للأعمال الظاهرة هو سنة النبي ﷺ، فما وافقها مع الإخلاص قُبل وأُثيب عليه صاحبه، وما خالفها رُدّ وحُرِم العامل ثوابه، وربما لحقه وزره ومثل أوزار من اتبعه؛ لكونه بدعة مخالفة للشرع، قال تعالى: q p [r s t u v w y z | } ~ ٱلۡعِقَابِ Z [الحشر:٧]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١)، وفي رواية: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»(٢)، وفيه أيضًا عنه ﷺ قال: «**وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٣).

فليحرص الداعية إلى الله تعالى أن يكون قدوة صالحة للناس في طيب قوله، وعفة لسانه عن البذاء واللغو، وإتقان عبادته وحسن خلقه، وإحسانه من فضل ما آتاه الله، ولين جانبه، وكريم معاملته، وليسلم المسلمون من لسانه ويده، وليأمنوا على دمائهم وأموالهم ليأخذ الناس عنه، ويقبلوا ما يدعوهم إليه، و ليكون له الأجر مرتين، أجر العمل وأجر القدوة، وفضل الله واسع، وليحذر

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)؛ ومسلم برقم: (١٧١٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٦)، والجملة الثانية أخرجها مسلم برقم: (٨٦٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من أن تصدر عنه أقوال غير محققة، أو أعمال تخالف ما يدعو إليه حتى لا يتعرض لوعيد الله، ولا يتسبب في صد عباد الله عن دينه وهداه.

وخلاصة ما سبق أن موافقة القول للعمل تتحقق بها منافع عظيمة:

الأولى: تحقيق عبادة الله تعالى التي هي فريضة الله على عباده قولًا وفعلًا وهذا في حق نفسه.

الثانية: بيان العلم بيانًا يزول به اللبس، ويتحقق به الفهم، ويسهل معه العمل.

الثالثة: حفظ العلم وكمال الانتفاع به؛ حيث يتلقى عنه بيانًا وفهمًا وتطبيقًا، وهذا في حق غيره، وهو مما يثمر تنوع الإحسان، وزيادة الإيمان، ورفعة المقام والدرجة في الدنيا والآخرة.

الرابعة: التشبه بمن أثنى الله عليهم من المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والتسليم، وعباد الله الصالحين بحسن الدعوة والعمل الصالح، وهو من أسباب حبهم، والثبات على طريقتهم، وأن يلحق بهم ويحشر معهم، والبعد عن التشبه بمن ذمَّهم الله وغضب عليهم، وتوعّدهم بلعنته وشديد عذابه، وفي الحديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، وفي رواية: «**حشر معهم**»(٢).

الخامسة: أن العامل بعلمه وما يدعو إليه، يصبح من أئمة المتقين الذين يفوزون بمثل أجور من اقتدى بهم إلى يوم القيامة.

السادسة: أنه من أسباب العصمة من الضلالة والنجاة من الفتن، والسلامة من موجبات الخزي في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٥٠٩٣)، وأبو داود برقم: (٤٠٣١).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٨٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثالثًا:

الإخلاص لله في القول والعمل

أ- حقيقة الإخلاص والنصوص بشأنه:

هو قصد وجه الله تعالى في القول والعمل، وعدم صرف شيء من حقه سبحانه إلى أحد من خلقه كائنًا من كان، قال تعالى في معرض الثناء على الأبرار الموعودين بالجنة في أشرف الأذكار:] 9 : ; <=> ? @A B Z [الإنسان:٩]، وقال سبحانه:] 3 4 5 6 7 8 9 : ; < Z [النساء:١١٤]، وقال تعالى:] Z [\ ] ^ _Z [البقرة:٢٧٢]، وقال ﷺ: «**إنك لن تُخلَّف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**»(١).

ذلك لأن إخلاص العمل لله تعالى هو أساس الدين، وسبب لقبول العمل من المكلفين، وهو الحكمة من خلق الجن والإنس، كما أخبر الله عن ذلك بقوله المبين:] C D E F G H Z [الذاريات:٥٦]، وقال:] h i j k l m n o p q r s t v w x Z [البينة:٥]، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله:] ! " # $ % & ' ( ) Z [الزمر:١١]،] ; < = > ? @Z [الزمر:١٤]، إلى قوله:] p q r s t u v w x y z { | } ~ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٠٩)؛ ومسلم برقم: (١٦٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ۝ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ Z

[الأنعام:١٦١ - ١٦٣].

وكما أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يوحد الله تعالى، ويخلص له في عبادته، فقد أمره أن يدعو إلى توحيده: وهو الإخلاص له في الدعاء والقصد، وأن تكون دعوته خالصة لوجه الله، لا يبتغي بها غيره، ولا يلتفت فيها إلى أحد سواه، فقال تعالى:] P Q R S T U W X Y Z [ ] ^ _ ` a b Z [يوسف:١٠٨].

فأرشد الله تعالى نبيه ﷺ إلى أن تكون دعوته خالصة لوجهه، سليمة من الشرك به؛ فإنه سبحانه منزه عن الشركاء والأنداد، وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١)، وفي رواية: «**فهو للذي أشرك وأنا عنه غني**»(٢)، وقال تعالى:] J K L M N O Q R S T V W X Z [\ ] Z [الحج:٦٧].

وأثنى سبحانه وتعالى على من دعا إلى توحيده وأخلص لله تعالى في دعوته واستقام، فقال سبحانه:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 Z

[فصلت:٣٠].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٧٩٣٩)؛ وابن ماجه برقم: (٤٢٠٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولذا أمضى النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة كلها في الدعوة إلى «لا إله إلا الله»، أي: إلى أن يعبدوا الله وحده مخلصين له الدين، ويتركوا الشرك به، ويباينوا المشركين، فيبرؤوا منهم ومن معبوداتهم من دون الله، وتكسر الأوثان، وإلى الأمور التي اتفقت عليها شرائع المرسلين قبله من بر الوالدين، وصلة الأرحام، والصدقة، والعفاف، والنهي عن الزنا، وقتل الأنفس بغير حق، وأكل الأموال بالباطل ونحو ذلك، فإن التوحيد هو أصل الدين، وهو القاعدة التي لا تصلح الحياة البشرية كلها في أصولها وفروعها إلا إذا قامت عليه؛ فإن الناس إذا عرفوا الله وآمنوا به وعظموه وأحبوه ورجوه وخافوه سهل عليهم الانقياد لفعل الأوامر واجتناب النواهي، رغبة في ثواب الله وخشية من عقابه.

ب- تقصير بعض الدعاة والجهات الدعوية في العناية بالإخلاص:

ومن تأمل واقع بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة وجد أن معظم خصال الجاهلية قد شاعت فيها وانتشرت بين أهلها، ومن ذلك الشرك الأكبر الخفي والجلي، من عبادة غير الله، والسجود له، وتقديم النذور والقرابين للأموات والقبور والشياطين ونحوهم، والخوف من المقبورين ورجائهم، وكذلك تنتشر بينهم أنواع من الشرك الأصغر كالحلف بغير الله، والرياء والسمعة، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا، وبعض الأقوال الخاطئة مثل قول (لولا الله وأنت)، ونحو ذلك، وكم في مجتمعاتهم من أنواع البدع وكبائر المعاصي.

وترى أن كثيرًا ممن ينتسب للعلم والدعوة يتركون إنكار الشرك وبيان حقيقة العبادة وتفاصيل أنواعها ومكملاتها، ولا يحذرون من هذه المظاهر الشركية والعادات الجاهلية ولا ينهون عن تلك البدع والكبائر تعظيمًا لرب البرية، بل إن قاموا بشيء من النهي عن بعض هذه الأمور فعلى استحياء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإجمال دون التفصيل في بيان أفراد هذه الأمور وأحكامها وأخطارها وشؤمها على الأفراد والشعوب في الدنيا والآخرة، بل ترى جهودهم وكثير وقتهم متوجهة في التنبيه على شناعة الخضوع للحكومات الفاسقة والنظم الوضعية المعاصرة، والتصريح بأن ذلك وحده هو عبادة الطاغوت، فلا يتكلمون عن التوحيد حقيقته وأنواعه، وخصاله وفضائله، وحسن عواقبه حقيقة، وتفاصيل وأفراد الشرك ويبينون شناعته وعظم عقوبته، بل يذكرونه إجمالًا وعمومًا عكس المنهاج الرباني والهدي النبوي.

فإغفال الكلام عن الشرك والخرافة والأمور الجاهلية الباقية في الأمة، والاشتغال بمحاربة القوانين الوضعية والحكومات القائمة عليها فحسب، وترك الدعوة إلى التوحيد والنذارة من الشرك قصور في اتباع وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم على هداهم إلى يوم القيامة، وتحريف لهذا الدين، وانحراف عن المنهج السماوي إلى منهج سياسي محدث نهاية أصحابه ـ لو كتب لهم النجاح ـ أن يسيروا في فلك خصوم الإسلام، أو يحاكوهم في كثير من السياسات والتنظيمات، وقد ينسبون ذلك إلى الإسلام، أو يدَّعون الضرورة إليه، وتلك مصيبة عظيمة وفتنة خطيرة.

فكما يجب أن يدعى الناس إلى التشريع الإلهي، وإقامة الحكم الإسلامي في العالم على منهاج الكتاب والسنة، ومنهاج الخلافة الراشدة، وألا يُدّخر جهد في السعي إلى ذلك، فأوجب منه وأهم وأعظم شأنًا أن يدعى الناس إلى توحيد الله تعالى فيما يختص به، وإخلاص الدين له كما شرع، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، والبدع وأمور الجاهلية بكافة صورها وأشكالها، وبيان الأحكام الشرعية العملية التي تعبَّد اللهُ بها المكلَّفين في سائر الأماكن والأوقات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والمناسبات والأحوال، ذلك لأن العناية بهذه الأمور أهم وأولى؛ لأنها إذا صلحت الاعتقادات ورسخ الإيمان سهل على الناس ترك أمور الجاهلية، فإن الشرك وخصال الجاهلية أخطر شيء على عقيدة ودين الأمة، وهما أعظم موجبات خسارة الإنسان وشقائه في الدنيا والآخرة، قال تعالى:] t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^ ] \ [ Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + * ) ( ' & % $ # " ! [ z y x w v u } | { ~ ¡ ¢ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا Z [النساء:٤٨]، وفي الآية الأخرى: ] b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! © عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ Z [الزمر:٦٥]، وقال سبحانه:] J K L M N O P Q R S T V W X Y Z [المائدة:٧٢].

ت- تحقيق المرسلين والنبيين الإخلاص في دعوتهم لله، ودعوتهم أممهم إلى إخلاص الدين لله:

١- ولقد أمضى النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة من عمره المبارك بعد بعثته يدعو قومه إلى توحيد الله وإخلاص الدين لله، وكذلك بعد نزول الفرائض والأحكام العملية بعد الهجرة كان ﷺ يُبلّغها ويبيّنها مع اهتمامه العظيم في العناية بتحقيق التوحيد وسد ذرائع الشرك؛ حتى في مرضه الذي مات فيه، بل وهو ﷺ يعاني سكرات الموت؛ لأن ذلك هو الأصل الذي تقوم عليه العبادة، وهو شرط قبولها وترتب الثواب عليها، وهو ﷺ سيد الدعاة وإمامهم، وفي ذلك أبلغ الأسوة للدعاة إلى الله تعالى أن يعتنوا بالدعوة إلى التوحيد، فإن ذلك هو الأصل الأصيل، والمنهاج القويم للدعوة والإصلاح والفلاح في العاجل والآجل.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢- وهكذا باستقراء دعوات النبيين والمرسلين عليه الصلاة والسلام تتجلى عنايتهم بالدعوة إلى إخلاص الدين لله، أي: الدعوة إلى إفراد الله بالألوهية والعبادة، وترك الشرك به قبل أي أمر آخر مهما كان عظيمًا، فإنهم عليهم الصلاة والسلام بعثوا في مجتمعات وأمم فيها الشرك والضلال وأنواع الظلم والاستبداد، وغاية من فساد النظام السياسي وانهيار النظام الاقتصادي والاجتماعي، ومع ذلك كانت كلمتهم واحدة، يقول كل واحد منهم:] يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ´ µ ¶ ¸ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ Z [الأعراف:٦٥]، فكانت الدعوة إلى إخلاص العبادة لله أول وآخر دعوتهم، وأعظم مهمتهم وزبدة رسالتهم، ذلك لأن الناس إذا انقادوا لعبادة الله وترك عبادة ما سواه سهل انقيادهم لترك كل ما لا يُرضي الله وتحقيق طاعة الله في كل أمر.

فإن الناس إذا اعتقدوا ألوهية الله وحده، والتزموا بعبادته وحده، وعرفوا مقتضى أسمائه وصفاته وآثارهما في ملكوته وخلقه، وتعبدوا بدعائه بها سؤالًا له وثناءً عليه، وسلموا بوجوب طاعته وحده بما شرع، ووجوب طاعة نبيه ﷺ واتباعه، فإن ذلك من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن النبي الداعي إلى ذلك رسول الله، ولزوم وطاعة من يدعو إلى طاعة الله ورسوله، وفرُّوا من الشرك والكفر والإلحاد، ومن البدع وغيرها من أسباب عقابه إلى أسباب ثوابه، مُتحلِّين بمحبة الله تعالى راغبين راهبين، فبذلك يسهل انقيادهم، وتصلح أحوالهم، ويطيب مآلهم، ويسعدوا في دنياهم وأخراهم، وبذلك يدرك عامة المدعوين فضل الله عليهم بالهداية وإحسان الدعاة إليهم بالدعوة، وأنهم لا يسألون الناس أجرًا على دعوتهم وهداهم، إنما يبتغون الثواب من ربهم ومولاهم.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولذا أخبر الله تعالى عن رسله عليهم السلام أنهم لكمال إخلاصهم لربهم، وَعِظم طمعهم في الفوز بفضل ربهم ورحمته، والنجاة من غضبه وعقوبته لا يسألون أممهم أجرًا على دعوتهم؛ وإنما يبتغون الأجر من ربهم فإنهم عليهم الصلاة والسلام دعوا إلى الله مخلصين لله، وطلبوا من أممهم إخلاص الدين لله وترك عبادة من سواه، فأولهم نوح عليه السلام خاطب قومه بقوله:] وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ à عَلَىٰ â ٱلۡعَٰلَمِينَ Z [الشعراء:١٠٩]، وآخرهم محمد ﷺ أوحى الله إليه قوله:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [ص:٨٦]، وقوله:] قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ à شَيۡءٍ â Z [سبأ: ٤٧]، فكانت دعوتهم عليهم الصلاة والسلام لأممهم جميعًا خالصة لوجه الله لا ينتظرون عليها أجرًا من أحد من الخلق.

بينما من يدعو الناس إلى إصلاح الأوضاع السياسية والنظم، الاقتصادية، والأحوال الاجتماعية لا بد أن يكون له حظ مما يدعو الناس إليه واقعًا أو مظنونًا، وهذا من شأنه أن يحوِّل الدعوة من وظيفة شرعية تعبدية إلى وسيلة مادية دنيوية.

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى الذين هم من ورثة النبيين، وأتباع المرسلين في العلم النافع والعمل الصالح، ودعوة الخلق إلى توحيد رب العالمين أن يكون الإخلاص في دعوتهم إلى الله تعالى أمرًا واضحًا معلومًا من هديهم وسيرتهم في دعوتهم، فلا يقصدون بدعوتهم رياءً ولا سمعةً، ولا مدحًا من الناس، ولا منزلة في قلوبهم، ولا تحصيل شيء من دنياهم؛ وإنما يقصدون بدعوتهم إظهار دين الله تعالى وإعلاء كلمته، ونفع الناس وهدايتهم إلى ربهم، وإقامة حجة الله تعالى على الخلق، يتقربون بذلك كله إلى الله تعالى، وينتظرون المثوبة منه سبحانه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فإن أجر الداعية إلى الله تعالى على ربه كما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله**»(١)، وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(٢)، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمْر النعم**»(٣).

وقد قال الله تعالى بعد ثنائه على من دعا إليه:] Z [ ] \ [m l k j i h g f e d c b a ` ^ Z w v u t s r q p o n [فصلت:٣٤ - ٣٥]، فليبشر الدعاة إلى الله تعالى المخلصين له، والمتبعين لنبيه ﷺ في دعوتهم بجميل العاقبة وجزيل المثوبة في الدنيا والآخرة.

والمقصود: أن الإخلاص لله تعالى في الدعوة أمر تتوقف عليه صحتها، ويترتب عليه ثوابها كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»(٤)،وفيهما أيضا أن النبي ﷺ قال لسعد بن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١) واللفظ له؛ ومسلم برقم: (١٩٠٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أبي وقاص رضي الله عنه: «**إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**»(١).

وفيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٢).

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يخلصوا لله تعالى في دعوتهم ابتغاء وجه الله تعالى، والتماسًا لمرضاته، وليحذروا من الرياء، أو قصد حمد الناس، أو اتقاء مذمَّتهم، أو طلب المنزلة بينهم، أو الوجاهة والرئاسة فيهم، أو إصابة عَرَض من دنياهم، وغير ذلك من حظوظ النفس التي هي من أنواع الشرك بالله تعالى، ونواقص أو مبطلات الأعمال الصالحة، فإن من السيئات ما يبطلن أو يأكلن الحسنات لما فيها من قصد غير وجه الله.

ولذا قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في قوله سبحانه:

a ` _ ^] [Z Y X W U T S R Q P [

b Z [يوسف:١٠٨]، فيها التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرًا ولو دعا إلى الحق فإنه يدعو إلى نفسه.

قلت: لعله يريد حظ نفسه من أمور الدنيا، ومن حطام الدنيا، والتصدر في المجالس، والظهور والمدح من الناس، وهذا ينافي الإخلاص ويحبط العمل.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٢٣)؛ ومسلم برقم: (١٩٠٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من الفتن التي تعرض للداعية في دعوته :

أ- شدة الأذى الذي يواجهه الداعية من بعض الناس مما قد يجره بسبب نقص إخلاصه وصبره، وضعف إيمانه إلى مداهنة الناس ومصانعتهم، مجاملة لهم أو طمعًا في دنياهم، وهم ينتظرون ذلك منه، قال تعالى:] وَدُّواْ لَوۡ © فَيُدۡهِنُونَ Z [القلم:٩]، وقد يحمله ذلك أيضًا على ترك دعوتهم مطلقًا فيكون من الداخلين في قوله تعالى:] N O P Q R S T U V W X Y Z [\ Z [العنكبوت:١٠].

ب- وإذا طال صبر الداعية، واشتهر أمره في ثباته على دعوته وصبره على أذى خصومه، فقد يُبتلى بإعجاب الناس به والتفافهم حوله، وهذا أيضاً من الفتن العظيمة؛ لأنه يفسد على الداعية إخلاصه افتتانًا بالجمهور، وطلبًا لمحمدتهم والرئاسة فيهم، أو تكثُّرًا بهم، إلى غير ذلك من أنواع الافتتان بكثرة الأتباع والشهرة في الأمر، عياذًا بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ومن الشرك كله دقيقه وجليله، ظاهره وخفيه، وكبيره وصغيره، آمين.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رابعًا:

الصـــدق

وهو أساس الإيمان، وهو يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، قال ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين): وحقيقته حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، ويكون في القصد والقول والعمل:

أ- **فمعناه في القصد:** كمال العزم، وقوة الإرادة على السير إلى الله تعالى، وتجاوز العوائق، ويكون ذلك بالمبادرة إلى أداء ما افترضه الله عليه، ومنه الدعوة إلى الله تعالى.

ب- **وأما الصدق في القول فمعناه:** نطق اللسان بالحق والصواب، فلا ينطق بالباطل أيًّا كان.

ت- **ويكون الصدق في الأعمال:** بأن تكون خالصة لله صوابًا على سنة رسوله ﷺ.

فإذا ما تحقق للمسلم الصدق في القصد والقول والعمل؛ فإن ذلك يؤدي إلى درجة الصدِّيقية التي أمر الله بها عباده المؤمنين، موجهًا الخطاب إلى رسوله ﷺ: [Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g Z [الإسراء:٨٠].

ومعنى مدخل الصدق ومخرجه: أن يكون دخول المسلم في أي شيء، ومباشرته لأي عمل وخروجه منه، وتركه له بالله ولله، فتكون أفعاله وتُروكُه موصولة بالله، موصلة إليه، مستعينًا على أدائها به ومقصوده مرضاة الله، فغايته

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هي الله وحده قال تعالى:] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ Z [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وأثر الصدق يظهر على الوجه والقول، فقد كان الرسول ﷺ إذا رآه من لا يعرفه، وسمع منه ما تحدث عنه فقال: (والله ما هو بوجه كذاب، ولا صوت كذاب).

وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تأمر بالصدق وتبين فضله وعظم مثوبته وتحذر من ضده وتتوعد عليه بأشد الوعيد، كقوله تعالى:] B C D E F G H I Z [التوبة:١١٩]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا**»(١).

ويكفي في بيان فضيلة الصدق وعلو مرتبة أهله أن الله تعالى جعل الصديقية ـ وهي لمن اتصف بالصدق وتصديق المرسلين فيما جاءوا به من رب العالمين ـ في مرتبة تلي مرتبة النبوة، كما قال تعالى:] I J K L M N O P Q R S T U V W Y Z [Z [النساء:٦٩].

ووعد الصادقين بالجنة والرضوان والفوز العظيم، كما في قوله سبحانه:] قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ à ٱللَّهُ â وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ç è Z [المائدة:١١٩]، وقال تعالى:] y z { | } ~ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)؛ ومسلم برقم: (٢٦٠٧)؛ واللفظ له.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ © وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا Z [الأحزاب:٣٥].

فالصدق ينفع أهله في الدنيا والآخرة أعظم النفع، إذ هو من أسباب الهداية إلى البر والنجاح في الدعوة، بل في كل عمل نافع، وهو من أسباب محبة الخلق، وكثرة الرزق، وتيسير الأمر، وكثرة الأجر، ورفعة الدرجة، والنجاة من النار، والفوز بأعلى درجات الجنة، قال تعالى:] G H I J K L Z [محمد:٢١].

فينبغي للداعي إلى الله تعالى أن يكون صادقًا مع ربه في العمل له، وصادقًا مع الخلق في وعوده وعهوده وعقوده، وفيًّا في كل ذلك؛ فإن المؤمن يطبع على الخلال كلها ما خلى الكذب والخيانة؛ فليس الكذب من خلال المؤمنين، وما أضره على الإيمان برب العالمين، وما أفسده لذات البين بين المتعاملين، ولذا عدَّه النبي ﷺ من خلال النفاق، وعلامات المنافقين في قوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب**...الحديث»(١).

فليحذر الداعي إلى الله تعالى الكذب كله؛ فإنه قبيح بالداعي وشؤم على الدعوة ومصدة للمدعوين عن الخير، اللهم اجعلنا من الصادقين الصديقين، وأعذنا من الكذب وحال ومآل الكاذبين.

*****

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم: (٣٣)، ومسلم برقم: (٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

خامسًا:

تحري الحكمة في الدعوة

قال تعالى:] v w x y z { | ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ Z [النحل:١٢٥]، فهذا الأمر العظيم والتوجيه الرباني الكريم ـ وإن كان موجهًا إلى النبي ﷺ ـ فهو أمر لأمته جميعًا، وإنما خُوطب به النبي ﷺ؛ لأنه الأصل والأساس والإمام والقدوة، والقاعدة الشرعية المعروفة عند أهل العلم أن الأمة تبعٌ له ﷺ فيما يُوجه إليه من الأمر والنهي، إلا ما دل الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام، ومن مهام النبي ﷺ التي أرسل بها تعليم الأمة الحكمة، ومن معانيها في الوحي المنزل عليه ﷺ: السنة، والعلم، والحق، وكلها معانٍ متقاربة، وكلها تدور حول العلم بالحق والعمل به، وتعليمه لمن لا يعلمه، بما يحببه إليه ويحمله على قبوله والعمل به.

وسبق أن الدعوة فرض على جميع الأمة حسب الاستطاعة، فالواجب على دعاة الهدي ومحبي النبي ﷺ أن يتأسوا به ﷺ في تحقيق ما أمره الله تعالى به وأرشده إليه من الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وتوجيه عباده إليه، وإرشادهم إلى أسباب نجاتهم، وتحذيرهم من أسباب الهلكة والخسران في الدنيا والآخرة.

وأصل الحكمة: وضع الشيء موضعه وتوفية الأمر حقه دون زيادة أو نقصان، وتطلق الحكمة على القول الصائب والمثل السائر لما فيها من الإيضاح والبيان، ويسمى العلم حكمة؛ لأنه يردع عن الباطل ويعين على الحق.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بالحكمة في قوله تعالى:] v w x y z Z: الآيات والأحاديث، فالمعنى على ذلك: ادع إلى سبيل ربك بآيات الله تعالى وسنة نبيه ﷺ لما فيهما من الفقه وإيضاح الحق وبيانه والردع عن الباطل والتوجيه إلى الخير.

فالواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يتحروا الحكمة في دعوتهم:] وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ Z [البقرة:٢٦٩].

من معاني الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى:

الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أكثر ما تتعلق بمعرفة حاجة وحال المدعو، ومناسبة الدعوة، والوسيلة النافعة، والأسلوب الأمثل فيها، وأقرب الطرق لتحقيق مقصودها.

وفيما يلي ذكر جملة من تفصيلاتها:

١ - معرفة مجتمع الدعوة وحال المدعوين:

أن يتعرف الداعي إلى الله تعالى على طبيعة البيئة التي سيدعو فيها، وحال القوم الذين يدعوهم، والأمور التي يحتاجون إلى الدعوة والتوجيه بشأنها، كما أرشد النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى ذلك بقوله: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**...الحديث»(١)، فبيَّن ﷺ لمعاذ حال أهل اليمن، ونبهه على الأمور المهمة التي ينبغي أن يدعوهم

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٣٧٢)؛ ومسلم برقم: (١٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

إليها مبتدئًا بالأهم ثم الذي يليه، ليكون حديثه معهم واضحًا، وتوجيهه لهم واقعيًّا، حتى تكون دعوته علاجًا لأدوائهم، وحلًا لمشكلاتهم، وإصلاحًا لما فسد من أمرهم وحالهم وعلومهم.

٢ - إيضاح الحق بحججه وبراهينه:

ومن الحكمة أيضًا إيضاح الحق بالحجج القوية والبراهين الظاهرة، وبيانه بالأساليب المؤثرة واللغة الواضحة التي يفهمها المخاطب، ولذا صح في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إن من البيان لسحرًا**»(١)، وفي التنزيل يقول الحق سبحانه:] f g h i j k l m n p q r s t u v x y z Z [إبراهيم:٤]. ولذا كاتب النبي ﷺ ملوك زمانه يدعوهم وينذرهم بلغتهم، وكان ﷺ يعرف لهجات العرب على اختلافها، وهذا من معجزاته ﷺ، أي: إلمامه بها مع أميته وقلة خلطته؛ فإن في قوة الحجة ووضوح البيان وتحريك العواطف بالترغيب والترهيب والقصص الواقعية المؤثرة والأمثلة التي تفهم السامع بأوجز عبارة وأحسنها ما يأخذ بمجامع القلوب، ويجعلها تذعن للحق وتنقاد له.

فعلى الداعية أن ينتقي من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة وكلام أئمة العلم والهدى والقصص الواقعية والأمثلة السائرة والكلمات والأبيات الشعرية الحكيمة ما يسعفه فيما يرمي إليه، ويوضح الحق الذي يدعو إليه، ويغري بقبوله والانصياع إليه، ويزجر عن الباطل الذي ينهى عنه، ويبعث الهمة والعزيمة على تركه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥١٤٦)؛ ومسلم برقم: (٨٦٩).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣- لين الخطاب ومناسبة الأسلوب:

ومن الحكمة كذلك أن يتحرى الداعية غالبًا الرفق في خطابه، واللين في قوله، وأن يختار الألفاظ المناسبة للمقام والأساليب المفيدة في هداية الأنام، دون غلظة في القول إلا عند الضرورة التي تقتضيه؛ حيث تكمل المصلحة أو تترجح فيه، وأن يتجنب العبارات الفظَّة أو التي توحي تَنقُّصَ المخاطبين، أو عيبهم، أو اتهامهم بالقصور، أو كراهة الحق، أو محبة الباطل، ونحو ذلك مما ينفر السامع عن الاستماع، أو يصرفه عن الإقبال على المتكلم.

ولهذا قال الله تبارك وتعالى لموسى وهارون عليهم السلام وقد أرسلهما إلى فرعون أكفر أهل الأرض في زمانه:] x y z { | } ~ يَخْشَىٰ Z [طه:٤٤]، وقال سبحانه لموسى عليه السلام موجها له في خطابه لفرعون:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 Z [النازعات:١٨- ١٩]، فمراعاة الأدب في الخطاب ولين القول مما يثمر ـ غالبًا ـ انصياع مخالف الحق إلى قبوله، ورجوعه إليه، ورضاه به، وإيثاره على غيره، وعلى الأقل قيام الحجة عليه، والمعذرة إلى الله تعلى في أداء الواجب نحوه.

٤- معرفة الأبواب التي يدخل منها على الناس:

ومن الحكمة الجديرة بالعناية والرعاية أن يجتهد الداعية في تحري أسباب الوصول إلى قلوب الناس، وكيفية فتح مغاليقها وأقفالها، ويأتي الأمور من أبوابها، فيتعرف على أهم قضاياهم وما يشغل بالهم وأحب العبارات إليهم، حتى يكونوا أكثر إصغاءً لحديثه، وفهمًا لمقاصده، وأسرع استجابة له، وليجمع بين إثارة الوجدان وإقناع العقول، فإن ذلك أدعى للتأثر بوعظه، وقبول نصحه، وبقاء أثرها في القلوب دهرًا طويلًا، فتظهر ثمرات هدايتها، وتؤتي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أكلها في كل حين بإذن ربها من صحيح الاعتقاد، والكلم الطيب، والعمل الصالح، والخلق الحسن، وترك ما يضاد هذه الأمور أو ينقضها، ولذا كان خطاب الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم بهذه الكلمات الجميلة، والعبارات المؤثرة:] ; > = Z،] $ % & ' Z،] C D
Z H G F E

٥ - بساطة الأسلوب ومخاطبة الناس بما يعرفون:

ومن الحكمة البليغة الأثر أن يكون الداعية موضوعيًا في حديثه، وأن يبسط المفاهيم التي يريد طرحها على الناس ويؤصلها في نفوسهم، ومن وسائل ذلك أن يجتنب الغريب من الألفاظ والمعاني والمصطلحات التي لا تستوعبها عقول الناس.

ولذا قال بعض السلف: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله، وقال آخر: ما أنت بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تكاد تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

٦ - الإيجاز في القول وتفهيم الناس:

ومن الحكمة التي لها شأن في التأثير في عقول وقلوب المدعوين التأني في إلقاء الكلام على الناس عبارة عبارة، وجملة جملة، وإعادته إذ اقتضى الأمر ذلك، ولذا صح أن النبي ﷺ كان يتكلم بكلام يعدُّه العاد، وربما أعاد الكلمة ثلاثًا لتفهم عنه، أو ليعتني بها ويتبين المخاطب خطرها، وأما الخطبة والكلام في المجامع العظيمة؛ فأسلوب الخطابة فيه أبلغ، والبلاغة مراعاة مقتضى الحال، وفي وَجَازَةِ كُتُبِ النبي ﷺ إلى ملوك زمانه وبلاغتها وإنزالهم منازلهم في الخطاب أبلغ وأقوى دليل على ذلك.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٧- ترك المواجهة المنفرة:

ومن الحكمة المفيدة في دعوة أهل الشهوات والأهواء أن يجتنب الداعية مواجهة المدعو، وإنكار ما هو عليه من باطل، إذا كان ذلك يزيده نفورًا عن الحق، أو توغلًا في الباطل، كما قال تعالى:] | { ~ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ Z [الأنعام:١٠٨]، فلما كان سبُّ آلهة المشركين يحملهم على سوء الأدب مع رب العالمين نهى الله المؤمنين عن سب آلهة المشركين دفعًا للمفسدة الكبيرة، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

بل ينبغي للداعية ـ في مثل هذه الأحوال ـ أن يبين الحق، ويرغب فيه بذكر فضائله ومحاسنه وجليل منافعه، حتى يغري به الناس ليتركوا ما ألفوا من الباطل اختيارًا، فإن ترك المألوف صعب على النفوس، وليس من السهل على كل أحد أن يدع مألوفه إلا بمقاومة عظيمة، وجهد كبير، فليس المهم أن تلزم المبتدع أو المبطل بأنه صاحب بدعة أو باطل، وإنما المهم أن تغريه بترك ما هو عليه من هذه الأمور، والأخذ بالحق أو السنة، وانظر إلى حكمة الله في تشريع بعض العبادات وتحريم بعض المحرمات: كيف أخذ الناس بالتدرج حتى انقادوا إلى ترك مألوفاتهم، وفعل ما يشق عليهم، طاعة لله تعالى، ورغبة في ثوابه، وخوفًا من عقابه؟! وقد أُثِرَ عن الإمام مالك وابن المبارك والإمام أحمد رحمهم الله تعالى قولهم: «**بيِّن السنة للناس ولا تخاصم**».

٨- إنزال الناس منازلهم:

ومن الحكمة أن يراعي الداعية مقامات الناس ومنازلهم، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «**أنزلوا الناس** ـ وفي رواية: **أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس** ـ

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

منازلهم»[١]، فإن لكل مقام مقالًا، والبلاغة مراعاة مقتضى الحال، فالأم والأب والسلطان والوزير والعالم وغيرهم ممن هو عظيم في نفسه أو مُعَظَّم عند ذويه وقومه، وكان النبي ﷺ يُكنى أكابر المشركين، يقول:«يا أبا فلان أو كذا» لما في التكنية من توقيرهم، والأخذ بمجامع قلوبهم، وفي كتبه ﷺ إلى ملوك زمانه: من محمد عبدالله ورسوله إلى فلان عظيم كذا...»، فينبغي مراعاة مقاماتهم، وإتيانهم من الباب الذي يُظنُّ قبولهم للحق من جهته، فكلٌّ له أسلوب في الخطاب يناسبه، وباب يدخل إليه منه، فليستعمل مع كل شخص ما يناسبه ويكون أقرب إلى قبوله وانقياده.

٩- مخاطبة المدعو بما تقتضيه حاله من البيان:

ومن الحكمة النافذة إلى القلوب: مراعاة حال المدعو من حيث حاجته إلى البيان، فيعطى ما يتحقق به المقصود دون زيادة أو نقص، وحتى لا تنعكس الأمور:

أ- فمن الناس من يكون أصلًا طالبًا للحق مريدًا له مستعدًا لقبوله إذا ظهر له، لكن خفي عليه الحق بسبب خفاء الدليل، أو تعارض الأدلة، وعدم أهليته للترجيح، أو لغير ذلك من الأسباب، فمثل هذا يكفيه أن يوضح له الدليل ووجه الدلالة منه، وأن يبين له الأهم فالمهم، وما يكون قبوله له أتم، ولا يحتاج الأمر معه إلى بسط وتطويل.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٤٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ب- ومن الناس من قد يعرف الحق لكن يكون عنده شيء من التوقف والجفاء لهوىً في نفسه، أو شهوة جامحة غالبة عليه، أو لغير ذلك من الأسباب، فمثل هذا يحتاج إلى الموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما ببيان ما تشتمل عليه الأوامر الشرعية من الحكم والمحاسن والمصالح وتعدادها، وما في ارتكاب المناهي من المضار و الشرور وبيانها، وذكر أمثلة من كلام الله تعالى المبين لثواب الله تعالى للمطيعين، وعقابه للعاصين المعاندين، ونحو ذلك مما اشتملت عليه نصوص الوعد والوعيد، وقصص الله تعالى عن السابقين وسنته في المستجيبين والمعرضين، فيُذكر له من نصوص الوعد أو الوعيد الواردة في الكتاب والسنة والحوادث الواقعة ما يناسب المقام؛ حتى يخشع قلبه لله، وينقاد للحق، مبادرًا إلى امتثال المأمور راغبًا أو راهبًا، أو ترك المحظور؛ فإن القلوب تلين مع الموعظة الحسنة، وتطمع فيما عند الله من خير ورحمة للتائبين، وتزجر من عواقب الإصرار وآثار الاستكبار التي يتعرض لها المصرون المسوِّفون.

ت- وقد يكون عند المدعو بعض الشبهات، أو شيء من التأويلات، أو اللبس والمفاهيم الخاطئة أو سوء الظن ونحوها من الأمور التي صرفته عن الحق، أو أغرته بالإصرار على الباطل، فمثل هذا يحتاج إلى جدال ومناظرة بالأدلة الشرعية والبراهين الواضحة، لإيضاح الحق، وكشف الشبهات، وتفنيد التأويلات، وبالطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا وشرعًا، ويُحتج عليه بالأدلة التي يُسلِّم بها ويعتقد صحتها، حتى يكون على بينة من أمره.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولكن ينبغي أن تكون المجادلة والمناظرة ممن يُحسِن وله مِرَاسٌ في هذا الشأن، وأن تكون بكلام طيب وأسلوب حسن، ورفق لا بعنف وشدة، قال تعالى:] (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى:] " # $ % & ') (* + , - Z [العنكبوت:٤٦].

فإن العنف والشدة قد يفوِّتان الفرصة، ويضعفان الفائدة، ويقسِّيان القلب، أو يحملان على العناد والإصرار، وكذلك ضعف المناظر والمجادل وقصور أهليته مما قد يحمل المدعو على الإعجاب بنفسه واعتقاد انتصاره فيما هو عليه، والتكبر والإعراض عن الحق، واحتقار الخلق، وبغي أحد المتجادلين على الآخر.

ث- وإذا كان أهل الكتاب لا يُجَادَلُون إلا بالتي هي ـ أحسن إلا الذين ظلموا منهم ـ، فأهل الإسلام أولى بأن يُجادلوا بالحسنى، فيُراعى في جدالهم الأدب والرفق، وإيضاح الحق والرحمة بهم، والحرص على هدايتهم، والحذر من كل ما من شأنه صدهم عن الحق وبعدهم عنه.

ج- أما الظالمون من الفريقين فيُعاملون بما يستحقون، ويُنهج معهم النهج الذي يناسب الحال، ويقدر عليه، ويتحقق به المقصود الشرعي:

١ - فقد يقتضي المقام اللوم والزجر والتوبيخ.

٢ - وقد يقتضي التعزير بالتأديب بالهجر، أو النفي عن البلد، أو السجن، وأنواع العقوبات الأخرى، التي هي من اختصاص أولي الأمر، فيرفع إليهم بمن هذه حاله، ويُنصحون بشأنه بما ينبغي نحوه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣- وقد يحتاجون إلى جهاد وقتال ـ إذا قُدِر عليهم ـ، لإلزامهم بالحق وصرفهم عن الباطل.

٤- وقد يحتاج إلى كف شرهم، أو إيصال الحق إلى من تحت أيديهم وولايتهم بغير الجهاد؛ بل بإعطائهم ما يؤلف قلوبهم للحق، أو يكف شرهم ويوصل الحق إلى من تحت أيديهم من الخلق.

وهذه من مسؤوليات أولي الأمر الذين يَلُون الجهاد، ونبذ العهد، وعقد السلم، ونحو ذلك من أمور الحرب، فليست لآحاد الرعية أو جماعات منهم كما هو مقرر في أصول اعتقاد ومنهاج أهل السنة والجماعة.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com